إسهامات مؤرخي البصرة في تطور الحياة الفكرية: خليفة بن خياط أنموذجا

Contributions of the Historians of Basra to the Development of Intellectual Life: Khalifa Bin Khayyat as a Model

م.د. خديجة حسن علي القصير: كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق

Dr. Khadija Hassan Ali AlQusayr: Faculty of Arts, University of Kufa, Iraq

Email: khadijah.alqaser@uokuka.edu.iq

DOI: https://doi.org/10.56989/benkj.v3i7.456

الملخص:

هدفت الدراسة الى بيان الدور الكبير الذي مارسه العلماء المسلمين في المدن التي تم تمصيرها (البصرة– الكوفة) في اغناء المكتبة التاريخية بالمؤلفات المتنوعة، أذ إن مؤلفاتهم وخصوصا المتعلقة بالسيرة النبوية قد بينت لنا العديد من الجوانب الخفية عن تلك الفترة واهميتها في تاريخ المسلمين، ولسعة الموضوع وشموليته ارتأت الباحثة ان تختار نموذجاً من علماء مدينة البصرة وهو خليفة ابن خياط الذي ألف العديد من المؤلفات التي أثرت المكتبة الأدبية في التاريخ الإسلامي منها "طبقات القراء" و" تاريخ الزمنى والعرجان والمرضى والعميان" وأشهرها والتي لم يبق منها الا كتابه في التاريخ المعروف بـ" تاريخ خليفة بن خياط"، وكتاب "طبقات القراء". ولتحقيق هذه الغاية اتبعت الباحثة المنهج الوصفي لتبين ان خليفة ابن خياط انفرد في مؤلفه الطبقات بمحور خاص بالسيرة النبوية وسوف نورد في هذه الدراسة تفاصيل ما ذكره عن السيرة النبوية ومصادر استقاءه لمعلوماته.

الكلمات المفتاحية: السيرة النبوية، خليفة بن خياط، بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، البصرة، الطبقات، تمصير

abstract

The study aimed to demonstrate the great role played by Muslim scholars in the cities that were Egyptianized (Basra – Kufa) in enriching the historical library with various literature, as their books, especially those related to the Prophet's biography, showed us many hidden aspects about that period and its importance in the history of Muslims, and the sting of The subject and its comprehensiveness, the researcher decided to choose a model from the scholars of the city of Basra, and he is Khalifa Ibn Khayyat, who authored many books that enriched the literary library in Islamic history, including "Tabaqat al-Qira'" and "The History of the Timely, the Arrogant, the Sick and the Blind," the most famous of which is only his book on known history. In "History of Khalifa bin Khayyat" and the book "Tabaqat Al-Qurra'". To achieve this end, the researcher followed the descriptive approach to show that Khalifa Ibn Khayyat singled out his book Al-Tabaqat with a focus on the Prophet's biography, and we will provide details in this research. What he mentioned about the Prophet's biography and the sources of his information.

Keywords: Khalifa bin Khayyat, Basra, Biography of Prophet, Layers, History of Khalifa bin Khayyat, Egyptianization

المبحث الاول: الاطار المنهجي للدراسة

المقدمة:

شهدت المدن العربية الإسلامية عامة ومدينة البصرة خاصة نشاطاً واسعاً في مختلف جوانب الحياة عند العرب منذ الفتح الإسلامي للعراق وصولا الى تمصير الكوفة والبصرة في بداية العصر الراشدي(11-41هـ/632-661م)، وزاد هذا النشاط توسعاً اتخاذ هذه المدن كمدن قاطبة للسكان إذ تستقطب مختلف الفئات الاجتماعية للسكنى ومارست هذه الفئات دورا بارزا في التطور الفكري بفضل جهود الصحابة الذين نزلوها منذ تمصيرها.

انجبت مدينة البصرة الكثير من العلماء المسلمين الذين أغنوا المكتبة التاريخية بمؤلفاتهم وكان من رواد مدرسة البصرة الكبار الذي ألف العديد من المؤلفات التي أثرت المكتبة الأدبية في التاريخ الإسلامي إذ خصصوا جزءا من مؤلفاتهم للسيرة النبوية خليفة بن خياط، هذا المؤرخ الذي وضع عدة كتب منها "طبقات القراء" و" تاريخ الزمنى والعرجان والمرضى والعميان" وأشهرها والتي لم يبق منها الا كتابه في التاريخ المعروف بـ" تاريخ خليفة بن خياط"، وكتاب "طبقات القراء".

انفرد ابن خياط في مؤلفه الطبقات بمحور خاص بالسيرة النبوية وسوف نورد في هذا البحث تفاصيل ما ذكره عن السيرة النبوية ومصادر استقاءه لمعلوماته.

مشكلة الدراسة:

تتمحور مشكلة الدراسة حول الدور الذي مثله كتاب الطبقات واخص هنا خليفة ابن خياط في المدن الممصرة واخص هنا البصرة في اثراء المكتبة الاسلامية بالعديد من المصادر التي غطت مرحلة مهمة جدا من تاريخ المسلمين وهي فترة الرسول الاعظم صل الله عليه وآله ومن ثم اصبحت هذه مصادر مهمة في دراسة السيرة ومعرفة تفاصيلها، ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيسي التالي:

- ماهية الدور الذي لعبة خليفة ابن خياط في تدوين كتب الطبقات؟ وهل لهذه المؤلفات دور في تاريخ السيرة النبوية؟

ويتفرع من هذا السؤال عدد من الاسئلة الفرعية وتمثل مايلي: -

- من هو خليفة ابن خياط؟ وماهي نشأته وموارده في تدوين السيرة النبوية؟
- ماطبيعة الدور الذي تمثله كتب الطبقات في السيرة النبوية؟
- دور خليفة ابن خياط في اغناء المكتبة العربية بالمؤلفات المهمة التي تضم الجوانب المختلفة؟

منهج الدراسة:

اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي المتمثل بوصف شامل ودقيق للمشكلة موضوع الدراسة من خلال جمع المعلومات وتحليلها ومن ثم التوصل الى النتائج بهدف المعرفة وبما ينسجم مع الظاهر.

فرضية الدراسة:

لعب علماء البصرة بعد التمصير واخص هنا خليفة ابن خياط دوراً كبيراً في اثراء المكتبة التاريخية بالعديد من الجوانب المتعلقة بالسيرة النبوية من خلال انفراده بالتأليف في كتب الطبقات وادراجه فصلا عن السيرة النبوية.

أهداف الدراسة:

- التعرف على شخصية خليفه بن خياط ودوره في التاريخ.
- ايضاح الدور الذي لعبته كتب الطبقات في التاريخ الاسلامي.

هيكلية البحث:

تألفت الدراسة من ثلاثة مباحث، تناول المبحث الاول: الاطار المنهجي للدراسة، والمبحث الثاني تضمن: نبذة مختصرة عن مدينة البصرة ونشأتها تطرقت فيه الى تسمية المدينة وتمصيرها، أما المبحث الثالث: خليفة بن خياط ودوره في رفد الحياة الفكرية وقد جاء هذا المبحث في مطلبين المطلب الأول: السيرة الذاتية لخليفة بن خياط والمطلب الثاني: جهود خليفة بن خياط في رفد الجانب الفكري واعتمد فيه على نموذج من مؤلفاته وهو كتاب التاريخ ووضحت فيه منهجيته والتصنيف والتبويب الذي اتبعه في تأليفه وكيف اصبح كتابه منهل للعديد من المؤلفين الذي لحقوا به واستقوا العديد من المعلومات من بين ثنايا كتابه.

المبحث الثاني: نبذة مختصرة عن مدينة البصرة ونشأتها

ذكرت بعض الآراء إن "البصرة" تعني الأرضُ الصلبةُ المائلة للسواد، وعندما دخلها المسلمون قالوا "أن هذه لبصرة" يعنون بذلك قوية صلبة [1]. وكانت قبل الفتح الإسلامي تسمى أرض الهند وهي

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص67؛ الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج6، ص93-94.

تسمية تطلق على الإبلة[1] أو أرض الخريبة[2]. ولقد تضاربت الآراء في تسمية البصرة فلازالت الاختلافات في التسمية وفي معنى البصرة مازال واسعا في التفسيرات التي قدمها اللغويون والمؤرخون العرب فالبعض يرجع تسمية البصرة الى إنها مشتقه من الآرامية أو من الكلدانية أو من الفارسية أو من اليونانية، وهناك من يدعي إن الاسم قد يكون مستمدا من الفعل الثلاثي "بصر" على اعتبار إن المخطط للمدينة أرادها بادئ ذي بدء أن تكون معسكرا يراقب تحركات سفن الأعداء التي قد تأتي من أعالي المحيطات والخليج ولتراقب الطرق الملاحية وتكون متنفس العراق البحري[3].

وهناك من يرجع البصرة الى اللغة الآرامية على احتمال أن مواضع كثيرة في وسط العراق وجنوبه بأسمائها الآرامية التي عرفت بها قبل الفتح العربي لهذا القطر ويستطرد يعقوب سركي سان الذي ساقني الى آراميتها وقوفي على كلمة "بصرياثا" ويجوز أن تعود كلمة بصرة مشتقة من كلمة آرامية[4].

أما عن تمصير البصرة:

اغلب المصادر تشير الى إن البصرة أسست سنة 16 أو 17 هـ وان عتبة بن غزوان توجه الى منطقة البصرة بناء على أوامر من القائد العام للجيوش الإسلامية في العراق سعد بن أبي وقاص وكان تحت إمرته وكان سعد قد تسلم أوامر من عمر بهذا الشأن حول أنفاد عتبه الى تلك المنطقة فيذكر الطبري[5] إن سنة تمصير البصرة هي 16هـ، بينما يحددها اليعقوبي[6] بسنة 17هـ، أما الرواية الأقرب الى الدقة فهي رواية المسعودي[7] والتي تشير الى وقوع حادثتين: الأولى: كانت سنة 14هـ عندما وصل عتبة أراضي البصرة وأقام فيها معسكرا مؤقتا اتخذه كنقطة انطلاق لغزوات محدودة على التخوم القريبة، والثانية: هي تمصير البصرة في سنة 14هـ أو في ربيع الأول أو الثاني سنة 16هـ. وأورد المقدسي[8] بدا تمصير البصرة من قبل عتبة بن غزوان في خلافة عمر بن الخطاب

---

(1) الإبلة من مناطق جنوب العراق تابعة للسيطرة الفارسية قبل الفتح الإسلامي وهي تمثل القاعدة العسكرية للقوات الفارسية في جنوب العراق، لقرب الخليج العربي ونهر دجلة منها تميزت بوفرة خيراتها، ينظر: ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ج1، 74-75.

(2) هي إحدى مناطق البصرة القديمة، كانت منطقة تسليح للجيش الفارسي، وسميت بالخريبة لأن جيش المسلمين الفاتح خرب الأبنية القديمة فيها، تميزت بوجود الأنهار والمزارع فيها، ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ج2، ص418.

(3) بن سعدون، البصرة ذات الوشاحين، ص 51.

(4) المصدر نفسه، ص51-52.

(5) ابو جعفر، تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الرسل والملوك، ج4، ص20-21.

(6) أحمد بن إسحاق، البلدان، ج1، ص159.

(7) ابي الحسن بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، ص252.

(8) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص117-118 .

الراشدي، وتقع على شط العرب، شق إليها من دجلة نهران هما نهر الابلة ونهر معقل، عرفت المدينة بكثرة أسواقها وجوامعها، وتعد ملتقى العلماء والفقهاء، كما كانت مركزاً تجارياً مهماً بحكم موقعها على ساحل الخليج العربي.

وبهذا فقد اجمع المؤرخون إن البصرة قد تم تمصيرها سنة14هـ ويروي لنا ابن خلدون في تاريخه انه بلغ عمر بن الخطاب في سنة14هـ إن العرب تغيرت ألوانهم ورأى ذلك في وجوه وفودهم فسألهم فقالوا: وخومة البلاد غيرتنا وقيل إن حذيفة كان مع جيش سعد بن أبي وقاص كتب بذلك الى عمر فسال عمر سعد فقال وخومة البلاد غيرتهم والعرب لا يوافقها من الأرض إلا ما وافق إبلها [1].

وقد رأى عمر بن الخطاب انه لابد للجيوش الغازية من اتخاذ مكان ليكون مركز انطلاق وتجمع لها وان يكون موقع هام يمكن للفرق الغازية اللجوء إلية وقت يشاؤون وطلب المعونة منه عندما يحتاجون واشترط أن لا يكون بينه وبينهم بحر يفصله عنهم فوقع اختياره على الخريبة والذي عرف فيما بعد بالبصرة ثم وجه إليه عتبة بن غزوان فقدم البصرة في جمع من أصحابه فلما رأى منبت القصب وسمع نقيق الضفادع فقال: أمرت أن انزل أقصى البر من ارض العرب وأدنى ارض الريف من ارض العجم فنزل الخريبة وكتب الى عمر يعلمه بنزوله وانه لابد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا ويكنسون فيه إذا انصرفوا من غزوهم فكتب إليه عمر أن اجمع أصحابك في موضع واحد وليكون قريبا من الماء والمرعى والمحتطب وكتب إليه إن انزلها الناس فأنزلهم إياها [2].

وبنى عتبة بن غزوان المسجد الجامع ودار الإمارة بالقصب وبنى الثكنات العسكرية التي تسمى الدساكر وكان عددها سبع دساكر[3]، ثم بدأ الاهتمام ببناء البصرة وأعمارها لاسيما في عهد والي البصرة عبد الله بن عامر بن كريز(29-35هـ/649-655م) من قبل عثمان بن عفان (23-35هـ/644-656م) فزاد في عمرانها وبنى المسجد باللبن وكذلك دار الإمارة وشق الأنهر والطرق[4].

وقد أشاد بعض الرحالة الى أهمية موقع البصرة وفي مقدمتهم بنيامين التطيلي في رحلته الى العراق فعند مروره بمدينة البصرة وصفها بقوله: موقعها على شط دجلة وفيها يسكن عشرة ألاف يهودي بينهم العلماء والعظماء[5].

(1)ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج2، ص110.
(2) القضاة، مدرسة الحديث في البصرة حتى القرن الثالث الهجري، ص23-24.
(3) ابن قتيبة، المعارف، ص563.
(4) البلاذري، فتوح البلدان، ج2، ص426.
(5) ينظر: التطيلي، الرحلة، ص149-150.

المبحث الثالث: خليفة بن خياط ودوره في رفد الحياة الفكرية

المطلب الأول: نبذه عن حياة خليفة بن خياط

هو أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة خليفة بن خياط الليثي العصفري الملقب بـ"شباب"، ويجهل سبب لقبه هذا. أما عن نسبه "العصفري": فيعود الى العصفر وبيعه وشرائه. في حين الخطيب البغدادي يورد: "وعصفر التي نسب إليها فخذ من العرب"[1].

نشأ شباب في البصرة في بيت علم فقد كان جده أبو هبيرة خليفة بن خياط من أهل الحديث، سمع الحديث من عمرو بن شعيب وحميد الطويل، وروى عنه محدثون كبار مثل: عمرو بن منصور ووكيع بن الجراح، وأبو الوليد الطيالسي، وذكر البخاري إن مسلما حدث عنه ولعله مسلم بن إبراهيم احد شيوخ البخاري(ت: 222هـ). وثق يحيى بن معين أبا هبيرة خليفة بن خياط بقوله: "خليفة بن خياط ثقة". وقد ذكر شباب في طبقاته جده هذا فقال: " مات سنة ستين ومائه، يكنى أبا هبيرة، وهو جدي مات وشعبه في شهر "[2].

وُلِدَ خليفة بن خياط سنة مائة وستين تقريبًا، وتوفي سنة مائتين وأربعين، ويعتبر "تاريخ خليفة بن خياط" أقدم تاريخ حولي وصل إلينا؛ حيث فقدت كتب الحوليات التي ألفت قبله، وتظهر أهميته البالغة في دقته وحسن انتقاء مؤلفه لرواياته التي تتقدمها الأسانيد وفق منهج المحدثين الذين ينتمي إليهم خليفة بن خياط، وينتمي إلى مدرستهم، وقد أبدى خليفة اهتمامًا بوضع جداول بأسماء الولاة والموظفين وغيرهم، كما اهتم بذكر أسماء الشهداء في الغزوات والفتن الداخلية، وانفرد بمعلومات عن وقعتي الحرة والزاوية، وإضافة لما فيه من جدة في المادة التاريخية، فإن الثقة التي أولاها النقاد وعلماء الجرح والتعديل لمؤلفه، وكثرة ما فيه من مرويات علماء الحديث تجعل منه مصدرًا تطمئن إليه نفس الباحثين في تاريخ صدر الإسلام؛ حيث تلعب الأهواء دورًا خطيرًا في توجيه الروايات وفي انتقائها[3].

من يستعرض تاريخ خليفة بن خياط يلحظ ان معظم الذين نقل عنهم من رجال البصرة مما يؤكد انه لم يرحل في الطلب بل قضى حياته في البصرة وتوفي فيها سنة 240هـ/854م، عن عمر

([1]) العصفر : ماده تصبغ بها الثياب لتصبح حمراء اللون

([2]) بن خياط، خليفة (ت: 240 هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق الدكتور: اكرم ضياء العمري، ط 2 مزيدة ومنقحة، دار طيبه للنشر والتوزيع، الرياض، 1405 هـ / 1985 م، ص 5.

([3]) بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص 5.

يناهز الثمانين سنة، أما عن مصنفاته فقد أورد ابن النديم[1] إن له أربعة كتب: " التاريخ، طبقات القراء، تاريخ الزمنى والمرضى والعميان، كتاب أجزاء القرآن وأعشاره وأسباعه وآياته".

أشاد الكثير من المؤرخين بخليفة بن خياط وسيرته فهاهو الحافظ القيسراني (ت: 507هـ) في كتابه "تذكرة الحفاظ" يعرفه لنا بقوله: "الحافظ الإمام أبو عمرو العصفري المعروف بشباب محدث نسابة إخباري علامة صنف التاريخ والطبقات وسمع ابن عيينة ويزيد زُريع وغندراً وطبقتهم وعنه البخاري وبقي بن مخلد وعبدان وأبو يعلى وطائفة قال ابن عدي مستقيم الحديث صدوق من متيقظي الرواة. قال مطين مات سنة أربعين ومائتين رحمه الله تعالى يقع لنا حديثه عالياً من مسند أبي يعلى الموصلي"[2]. ويقول عنه الحافظ السيوطي (ت: 911هـ): "عرف خليفه بانه كان عالما بالانساب وسير وايام الناس روى عن ابن علية وبشر بن المفضل وأبي داود الطيالسي وابن عيينة وابن مهدي ويزيد بن زريع وعنه البخاري وأبو يعلى وبقي بن مخلد وحرب بن إسماعيل الكرماني والدارمي وعبد الله بن أحمد بن حنبل"[3]. وقال عنه الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي (ت: 354هـ): "خليفة بن خياط أبو عمر العصفري من أهل البصرة يقال له شباب يروي عن ابن عيينة والبصريين حدثنا عنه الحسين بن سفيان وغيره وكان عالماً متقناً بأيام الناس وأنسابهم[4].

وأورد لنا الذهبي في ترجمته[5]: "الحافظ العصفري والذي عرف بالرواية عن جعفر بن سليمان ومعتمر بن سليمان ويزيد بن زريع وخلق وعنه البخاري وأبو يعلى وعبدان وخلق". وقد يتبادر الى أذهاننا لماذا إذا وبعد كل هذا الثناء الكبير الذي حصل عليه من جماهير علماء الأمصار يتعرض ابن خياط للتضعيف من قبل بعض العلماء؟

وهنا يتولى الإجابة عن تساؤلنا هذا الحافظ شمس الدين الذهبي في حديثه عن الخلفية العلمية لابن خياط من خلال ترجمته في مؤلفه الماتع "سير أعلام النبلاء" حيث يقول: "ابن خليفة بن خياط الإمام الحافظ العلامة الإخباري، أبو عمرو العصفري البصري، ويُلقب بشَبَاب، صاحب التاريخ، وكتاب الطبقات، وغير ذلك. سمع أباه، ويزيدَ بنَ زريع، وزيادَ بنَ عبد الله البكائي، وسفيان بن عيينة، وعبد الأعلى بن عبد الأعلى، ومحمدَ بنَ جعفر غُنْدَراً، وإسماعيل بن عُلية، ومحمدَ بنَ أبي عدي، ومُعْتَمر بن سليمان، ومحمد بن سَوَاء، وخالد بن الحارث، ويحيى القطّان، وابنَ مهدي، وأميةَ بنَ

([1])أبو الفرج محمد (ت: 438هـ)، الفهرست، المحقق: إبراهيم رمضان، ط2، الناشر: دار المعرفة، بيروت – لبنان، 1997، ص232.

([2]) بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص 5.

([3]) المصدر نفسه، ص5.

([4])المصدر نفسه، ص5.

([5])الحافظ شمس الدين(ت: 748 هـ)، ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1963م، ج 1، ص 665.

خالد، وحاتم بن مسلم، وهشام الكلبي، وعلي بن محمد المدائني، وخلقاً كثيراً"، ونجد هنا الدقة عند الذهبي في استدراكه لشيخه الحافظ العلامة أبي الحجاج المزي (ت: 742هـ) في مسألة فنية بحتة وهو بصدد الكلام عن شيوخ خليفة بن خياط حيث يقول: "ذكر شيخنا في(تهذيب الكمال) أنه روى أيضاً عن حماد بن سلمه فهذا وهم بيّن، فإنّ الرجل لم يلحق أيضاً السماع من حماد بن زيد، وأُراه رآه"[1]. ولمن أراد أن يعرف قدر ابن خياط وثقة العلماء فيه وتوثيقهم له يقول عنه صاحب سير النبلاء: "حدث عنه: البخاري بسبعة أحاديث أو أزْيَد في صحيحة، وبقيُّ بنُ مَخْلد، وحرب الكرماني، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، وأبو بكر بن أبي عاصم، وعمر بن أحمد ألأهوازي، وموسى بن زكريا التُستري، وعَبْدَان الجواليقي، وزكريا السّاجي، وخلقٌ. وكان صدوقاً نسّابةً، عالماً بالسير والأيام والرجال. وثقه بعضهم. وقال ابن عدي: هو صدوق من متيقظي الرواة. قلتُ (الذهبي): ليّنَهُ بعضُهم بلا حجة. قال: مُطَّين وغيرُه: مات سنة أربعين ومائتين". فالذي يتأمل قول الذهبي[2]": لينه بعضهم بلا حجة" يعني أن الذهبي لا يثق في الرواية المذكورة عن أبي حاتم الرازي التي ذكرتها آنفاً.

وينبري ابن حجر العسقلاني[3] مدافعاً عن ابن خياط مثلما فعل الذهبي ومن سبقه حيث يذكر في سياق الرد على في بقوله صدوق ربما أخطا وكان إخباريا علامة.

المطلب الثاني: دور خليفة بن خياط في رفد الحياة الفكرية

خليفة ابن خياط أحد الذين أنجبتهم مدينة البصرة واحد المؤرخين الكبار الذين نالوا شهرة واسعة في التاريخ والحديث معا وأصبحت مؤلفاتهم المصدر الرئيسي لأحداث القرون الثلاثة الأولى من التاريخ الإسلامي و احد رواد التاريخ الأوائل الذي صنف تاريخه على السنين أو التاريخ الحولي وهي الطريقة التي اعتمدها الطبري في تاريخه المطول، وسوف أحاول في هذا المبحث توضيح ماساهم به خليفة بن خياط في دعم المسيرة الفكرية والثقافية والتي جعلت اسمه بين مؤرخي عصره الكبار الذين ذاع صيتهم وأصبحت مؤلفاتهم محط إقبال طلاب العلم والمعرفة وارتأيت أن اختار احد هذه المؤلفات ووقع اختياري على كتابه "تاريخ خليفة بن خياط" وسوف أحاول أن أشير فيه وبشكل مقتضب الى منهجه في الكتابة.

الملاحظ لتاريخ خليفة يجد انه يتناول فترة من تاريخ الإسلام تمتد حتى سنة مئتين واثنين وثلاثين ابتدأ تاريخه بالحديث عن وضع التاريخ وميلاد الرسول محمد صل الله عليه وآله وسلم ثم اخذ يسوق أخبار كل سنة على حدة ابتداء من السنة الأولى للهجرة موردا فيها ما جرى من أحداث

(1) سير اعلام النبلاء، (دار الحديث، القاهرة، 2006)، ج 11، ص 473.

(2)الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج11، ص473.

(3) أبو الفضل أحمد (ت: 852هـ)، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق، 1986م، ج 1، ص 195.

ومغاز وثورات حتى إذا فرغ من ذلك ذكر من ادر كتهم الوفاة في تلك السنة ومن أقام الموسم، ثم بعد أن يستوفي الحديث عن عهد خليفة من الخلفاء اتبع ذكر من ولوا كل إقليم من أقاليم الدولة ومن ولوا القضاء ولاسيما في المدينة ومكة والبصرة والكوفة ومن تولوا حجابه الخليفة والدواوين والشرطة والكتابة وبيوت المال ويذكر ذلك بشكل متسع لا نجده عند غيره من المؤرخين، وبهذا فهو يقدم لنا الأساس الأول لدراسة تاريخ الإدارة والقضاء في الدولة الإسلامية ويقدم لنا إحصائيات لا نجدها عند غيره لأنه معروف من عادته انه عقيب الحديث عن كل معركة كبيرة هامة كبدر واحد والحرة وقديد يورد أسماء الذين لقوا حتفهم في هذه المعارك[1].

والأمثلة في كتابه على ذلك كثيرة نورد منها مثلًا يقول: سنة ست وخمسين ومائة [2] فيها عزل الهيثم بن معاوية عن البصرة، وولى سوار على القضاء، فمات سوار بن عبد الله في آخر هذه الحجة سنة ست وخمسين ومائة، يعني: في السنة التي يتكلم عنه، وصلى عليه ابن دعلج، وصلى بالناس عبيد الله بن الحسن، وفيها مات سعيد بن أبي عروبة، وعبد الحكم بن أبي فروة، وأفلح بن سعيد، وهؤلاء من المحدثين، وأقام الحج العباس بن محمد، وغزا زفر بن عاصم الهلالي بلاد الروم فأغار على قنبة وقونية، ثم ينتقل إلى سنة سبع وخمسين ومائة يقول: فيها أقام الحج إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وغزا الصائفة يزيد بن أسيد السلمي فغنم وسلِم، وفيها ولي عبيد الله بن الحسن قضاء البصرة والصلاة، وابن دعلج على الأحداث حتى مات أبو جعفر يعني: المنصور – وفيها مات عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، ومصعب بن ثابت، وعمر بن صهبان مولى أسلم.

ثم انتقل إلى سنة ثمان وخمسين ومائة[3]، قال: حضر الحج أبو جعفر فمات بمكة قبل التروية بيوم ببئر ميمون، وذلك يوم لسبع خلون من ذي الحجة، ومات مالك بن مغول في ذي الحجة، وأفلح بن حميد، وكان وجه معيوف بن يحيى إلى الروم فأضرب من ضرب الحدث، وقفل من ضرب الراهب سالمًا، ثم قال: حدثني الوليد بن هشام عن أبيه عن جده، وعبد الله بن مغيرة عن أبيه، وأبو اليقظان، وغيرهم، قالوا: ولد أبو جعفر بالحميمة بأرض الشام، ومات ببئر ميمون في السابع من ذب الحجة سنة 258هـ، وعمره حينها اربع وستين سنة وصلا عليه عيسى بن موسى ويقال: إبراهيم بن يحيى بن محمد، قال عبد العزيز: ولد سنة خمس وتسعين، ومات آخر سنة ثمان وخمسين –وهي السنة التي يتكلم فيها– ومائة، وهو ابن اثنتين وستين، واستمرت ولايته 22 سنة إلا ستة أيام، وبويع محمد بن أمير المؤمنين المهدي، وأمه أم موسى ابنة منصور امرأة من حمير، وقام الحج إبراهيم بن يحيى

(1) عاصي، د.حسين، خليفة بن خياط في تاريخه وطبقاته، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1993، ص 63.
(2) ابن خليفه، تاريخ خليفه ابن خياط، ص 428 – 249.
(3) المصدر السابق، ص428 – 429.

بن علي بن عبد الله بن عباس، وفيها غزا معيوف بن يحيى فقتل وسلب. فضلا عن كم المعلومات السياسي الذي يقدمه خليفة بن خياط في كتابه هذا منذ بدء الرسالة ودعوة الرسول محمد صل الله عليه وآلة وصولا الى العصر الراشدي ثم الأموي ثم العصر العباسي موضحا أحداث هذه الفترات السياسية وما جرى فيها من تحولات عديدة أثرت في مجرى الأحداث السياسية في العصور التالية التي أعقبتها.

وكذلك من الأمور الملاحظة في منهج خليفة بن خياط في كتابه هذا وحتى في كتابة الطبقات والذي لسنا في صدده في بحثنا هذا هو اهتمامه الواضح بالإسناد وبما انه محدثا اهتم بجمع الحديث وكتابة المسند فلا عجب أن يهتم بالإسناد حتى في رواياته التاريخية، ولذلك نجده يهتم بالإسناد بدقة في الحديث ويتساهل باستعماله في الأخبار والأنساب ويرجع ذلك الى أهمية الحديث وتعلق الأحكام به فلابد من التشدد في نقده قبل قبوله والإسناد هو المحور الأساسي الذي يدور حوله النقد، أما الأخبار فلا تترتب عليها أحكام تتعلق بمصالح الناس وأمور حياتهم لذلك كان التساهل في أسانيد الأخبار مما تعارف عليه المحدثون[1]. هذا وبشكل مقتضب البعض مما ورد في كتاب خليفة بن خياط " التاريخ" وهو ليس كل ما ورد من معلومات ساهمت في إثراء الحضارة الإسلامية ولكن حاولت أن أوضح البعض مما ورد في كتابه الذي اعتمد الباحثين والمؤرخين من بعده على ما جاء فيه من معلومات قيمة.

الخاتمة:

نستنتج من بحثنا هذا النقاط الآتية:

- البصرة هي أحدى الأمصار التي أسست بعد الفتح الإسلامي للعراق وكان تأسيسها قد جاء كضرورة أساسية من ضرورات الفتح ولاعتبارات معينة في مقدمتها حاجة جيوش الدولة العربية الإسلامية الى نقطة ارتكاز ينطلقون منها نحو المناطق الأخرى لتحريرها فضلا عن الحاجة الى معسكرا للجند الفاتحين.
- أنجبت مدينة البصرة العديد من المؤرخين والباحثين الذين اثروا الحياة الإنسانية بإختلاف مظاهرها واحد هؤلاء الذين كان لهم الدور في إثراء الحضارة الإسلامية بجوانبها المختلفة خليفة بن خياط.
- يمثل خليفة بن خياط اشهر مؤرخي البصرة الذين كان لهم الدور الكبير في احياء التراث العربي الاسلامي واغناءه بمؤلفات تحتوي تفاصيل عن السيرة النبوية.

(1) عاصي، خليفة بن خياط في تاريخه وطبقاته، ص64.

- اضاف ابن خياط للمكتبة التاريخية اضافة كبيرة بحكم المؤلفات التي وضعها والتي بقي البعض منها الى يومنا هذا يرفد الباحثين بالمعلومات الخاصة بالسيرة النبوية واخص منها كتابه التاريخ.
- اتصف خليفة بن خياط باعتماده على منهجية الطبقات في كتابة السير وقد دفع غيره الى حذو حذوه في هذا المجال.
- تناولت في بحثي هذا منهجية احد مؤلفات خليفة بن خياط وارتأيت أن يكون كتاب التاريخ وذلك لأنه كتاب شامل لمختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية محاولة أن أوضح وبشكل مقتضب منهجيته ودوره في إثراء الحضارة الإنسانية بما احتواه من معلومات قيمة في هذا المجال.
- عرف عن خليفة بن خياط اهتمامه بالسند بالنسبة للروايات التي استشهد بها في مؤلفاته وهذه منقبه تحسب له في مجال الكتابة التاريخية للسيرة النبوية.

التوصيات:

- التأكيد على أهمية دراسة السيرة النبوية للنبي محمد صل الله عليه وآله ضرورة ارفاد المكتبة بالكتب الخاصة في هذا المجال.
- بيان اهمية كتب الطبقات بالدرجة الاولى لان مؤلفيها اغلبه هم من القريبين من عصر الرسالة او ممن نقل بالرواية عن التابعين وتابعي التابعين فضلا عن ان اغلبهم من التابعين لذلك تعبتر مؤلفاتهم ذات اهمية كبيرة في دراسة السيرة النبوية.
- انجبت الامصار العربية بعد الفتح الاسلامي روادا للحركة الفكرية والعلمية اغنوا الساحة التاريخية بمؤلفاتهم فلابد ان يتم الاهتمام برواد تلك الحركة واخص بذلك مصري البصرة والكوفة لنشاط الحركة الفكرية فيهما آنذاك.
- ضرورة تشجيع الدراسات التاريخية التي تهتم بالسند للرواية التاريخية .
- ضرورة الاهتمام بدراسات السيرة النبوية الشاملة للجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية في عصر الرسول محمد صل الله عليه وآله وسلم والاتسفادة من تطبيقاتها في واقعنا الحاضر لكونها دروس منتقاة في كيفية التعامل مع الجوانب الحياتية المختلفة.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

1- ابن أعثم الكوفي، أحمد (1991م): الفتوح، تحقيق: علي شيري، ج1، ط1، بيروت، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع.

2- ابن خلدون، عبد الرحمن (1988م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة الناشر، ط2، بيروت، دار الفكر، ج2.

3- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم (بدون تاريخ)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، دار المعارف للطباعة والنشر.

4- ابن منظور، جمال الدين (1984م)، لسان العرب، ط2، بيروت، دار صادر، ج4.

5- أبو الفرج محمد (1997م)، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، ط2، بيروت، دار المعرفة.

6- أبو الفضل أحمد (1986م)، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دمشق، دار الرشيد، ج 1.

7- ابو جعفر، محمد بن جرير (1967م)، تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الرسل والملوك وصلة تاريخ الطبري، ط2، بيروت، دار التراث، ج4.

8- ابي الحسن بن علي (2005م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، المكتبة العصرية، ج2.

9- أحمد بن إسحاق (2001م)، البلدان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ج1.

10- البلاذري، أحمد بن يحيى (1956م) فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة مطبعة لجنة البيان، ج2.

11- بن خياط، خليفة (1985م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق الدكتور: اكرم ضياء العمري، ط 2 مزيدة ومنقحة، الرياض، دار طيبه للنشر والتوزيع.

12- بن سعدون، حسين (بدون تاريخ)، البصرة ذات الوشاحين، القاهرة، مكتبة مدبولي.

13- التطيلي، بنيامين (1945م)، الرحلة، ترجمة: عزرا حداد، بغداد.

14- الحافظ شمس الدين(1963م)، ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر.

15- الزبيدي، محمد (1964م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ج6.

16- عاصي، حسين (1993م)، خليفة بن خياط في تاريخه وطبقاته، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت.

17- القضاة، أمين (1998م)، مدرسة الحديث في البصرة حتى القرن الثالث الهجري، بيروت، دار ابن حزم.

18- المقدسي، أبو عبد الله (1991م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، القاهرة، مكتبة مدبولي للنشر